# المتغيرات في ادب الأطفال في العراق بعد 2003 والخطوط الحمراء في ادب وثقافة الطفل .

قال الأمام (علي ) عليه السلام )) لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم )) (1 )

وفي مقولة للكاتب الروسي تولستوي (1828 -1910 ) : من السنة الخامسة الى السنة الخمسين خطوة واحدة فقط ، ولكن من الطفل الوليد الى السنة الخامسة مسافة شاسعة جدا . ويعني فيها الأثر الذي تتركه التربية في المراحل العمرية المبكرة والتي تنحر تحديدا من السنة الأولى الى السنة الخامسة .

وكما يقول فيلسوف القرن العشرين ماركس وارتوفسكي في كتابه الطفل وثقافة الآخر (( ألأطفال هم مايعده الآخرون ومايعدون انفسهم كذلك ؛من خلال اتصالهم الأجتماعي وتفاعلهم مع الآخرين )) (( وفي هذا الكتاب يعرض تاريخا لما سمعه الأطفال وقرؤوه من خلال قصصهم ’ اناشيدهم ’ العابهم ومدى تأثرهم به ومايبنون عليه من تاريخ المعرفة لديهم مستقبلا )) .

اما اذا اردنا ان نعرف ادب الأطفال قبل ان ندخل في تفاصيل المحاضرة فأن ادب الأطفال هو :

الأدب الذي يتوجه بقصدية للأطفال مراعيا الشروط الفنية والجمالية والتربوية والنفسية للكتابة للأطفال فضلا عن مراعاته للمراحل العمرية للمتلقي الطفل . اذ لكل مرحلة عمرية همومها وواقعها .ويرتكز على هدفين مهمين هما المتعة والتعليم . وهو على انواع اهمها : قصص الأطفال وقصائدهم ومسرحياتهم سواء صدرت في كتب مطبوعة ام مستقلة ام كانت في ادبيات الأطفال كصحافة الطفل او التلفاز او الأذاعة او في المناهج التربوية فضلا عن سينما الاطفال واغاني الأطفال الشعبية والعابهم التي ترتبط بنصوص غنائية .

ويكاد ان يدخل كل مايتعلق بادبيات الأطفال من انشطة ثقافية وفلكلور وتقاليد واعراف في مجال ثقافة الطفل العامة . اما النص المكتوب والمتوجه به للطفل فهو يدخل في ادبيات الاطفال النصية .

1( جاء في نهج البلاغة شرح ابن ابي الحديد بهذه الصيغة ضمن عنوان الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي أبن ابي طالب(ع)" تحت تسلسل 102، وعنه نقلها الريشهري في كتابه موسوعة الإمام علي (عليه السلام) بنفس النص. وقد نسبها الشهرستاني في الملل والنحل ج2 ص87 الى سقراط وذكرها بالنص "لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم") .

وقبل الحديث عن المتغيرات في ادب الأطفال في العراق بعد 2003 لابد من ان نذكر ان الجدل مازال قائما حتى يومنا هذا بين النقاد والباحثين في قضايا ادب الأطفال بما يتعلق بالريادية التاريخية في مجال الكتابة للأطفال واسبقيتها للشرق ام للغرب ؟

فقد عد بعض الباحثين العرب ان ادبنا العربي ومنذ الجاهلية لم يخل مما يسميه نصوصا وادبيات للأطفال . وقد عد النص النادر الذي نسب الى امرؤ القيس يصف زحلوقة يتسلى بها الأطفال هو دليل بين على ذلك :

لمن زحلوقة زلّ بها العينان تنهل ّ

ينادي الآخر الأل الا حلو ا الا حلو ا

فضلا عن انهم عدّوا قصيدة ( وطاو ثلاث ) للشاعر المخضرم الحطيئة ( جرول بن أوس ) ت (59 هجرية ) المعروف بالبخل وخبث اللسان بأنها واحدة من ادبيات الأطفال وموضوعها قرى الضيف حد ّ ان اعرابي لم يجد مالديه لأطعام ضيفه ففكر ان يذبح ولده ليطعم ضيفه الا ان صيدا لاح في الأفق انقذ الطفل . و في حقيقة الأمر ان هذا النص لايمت بصلة بادبيات الأطفال لا من بعيد او من قريب .

هذا وقد عدّوا ان اغاني ترقيص الأطفال من ادبيات الاطفال التي تشكل منها ادب الأطفال في الأدب العربي القديم . كما في النموذج الشعري :

وماعلي ّ ان تكون جارية تغسل / رأسي وتكون الغالية

وترفع الساقط من خماريا / حتى اذا مابلغت ثمانية

أزرتها بنقبة يمانية

وكما في قول فاطمة الزهراء ترقص ولدها الحسن :

وا بأبي شبه أبي غير شبيه بعلي

وعدوا بعض المقطوعات الصغيرة لبعض الشعراء وكذلك الأرجوزة الطويلة التي بلغت خمسة الاف بيت والتي نظمها أبان عبد الحميد اللاحقي لكتاب كليلة ودمنة من ادبيات الأطفال . وايضا الأثر الأدبي الذي تركه لنا ابن الهبارية (ت 504 هجرية ) واسمه الصادح والباغم والذي بلغ عدد ابيات الكتاب الفي بيت على هيئة حكايات وضعها على السنة الحيوانات وهي على نمط واسلوب كليلة ودمنة .

وايضا المنظومة الشعرية المعروفة ( بذات النخب ) بضم النون . للشاعر علي بن عبد العزيز المغربي (ت 684 هجرية ) التي استوحاها من احداث الف ليلة وليلة وعن مغامرات السندباد البحري وقد نسب بطولتها لنفسه .

اما وجهة نظر الباحثة فهو كالآتي :

ان الكتابة للأطفال ترتبط باشتراطات فنية وادبية وجمالية وتربوية ونفسية يقصد اليها مؤلف الأطفال قصدا حين الكتابة للأطفال أذ ليس كل ماكتب في العصور الأدبية السابقة من الادب العربي وفيه تسميات او اوزان قصيرة ذات ايقاع راقص او حكايات شخوصها من الحيوانات او ان يكون الطفل واحدا من ابطال الحكاية او مقصودا بالتعليم والتوجيه ليس بالضرورة ان يكون هذا النص مكتوبا للاطفال وانما يمكن ان يقال عنه انه مكتوب عن الأطفال . اذ هناك فرقا واضحا وفاصلا يجب ان يكون بين موضوع الكتابة عن الأطفال والكتابة للأطفال . والمفهوم الأخير هو المعني بالكتابة الأدبية القصدية للطفل .

# ان الكتابة للأطفال قضية جادة وكل كتابنا مدعوون للمشاركة فيها ومهما كانت المحاذير فان الأمر يحتاج الى المحاولة والى اعادة النظر لأن الطفل اشبه بالعجينة التي تتشكل من كلمات الأدباء ومن افكارهم ومن حلولهم ورؤيتهم للحياة . لذا تقع عليهم تلك المسؤولية الخطيرة التي يعيها البعض حتى هذه اللحظة وهي مسؤولية اعداده لمستقبل ما . وما نعني بالمستقبل ليس ذلك الزمن الرتيب الذي يتولد من تراكم الأيام ، ولكن ذلك المستقبل الحافل بالرؤى والأشياء غير المتوقعة .

# ولابد من التنبه الى قضية مهمة وهي : ان احتكار الأنسان للذكاء قد انتهى وان الآلة منذ الان وصاعدا سوف تشاركه في كل خطوات التفكير .

واذا اردنا نقد الصورة الواقعية للأدب المكتوب للأطفال والناشئة في الوطن العربي فسنكون بحاجة الى صفحات طويلة .

ولكن سوف نعمل على الحديث عن المتغيرات الحديثة في ادب الاطفال في الوطن العربي وفي العراق انموذجا .

ومن اهم هذه المتغيرات :

* المتغيرات التربوية
* المتغيرات الفنية
* والمتغيرات الفكرية
* المتغيرات السياسية في ادب الأطفال .

# اما المتغيرات التربوية

ان معظم الدول العربية العربية تجنح الى التغييرات في طبيعة المناهج بسبب التغييرات السياسية والفكرية واحيانا الجوهرية التي تحدث في البلاد كما حدث مع العراق حيث تغير نظام الحكم ومعه السياسة المحلية والدستور . حيث رفعت النصوص الادبية الشعرية والنثرية التي تشير حماسة الى الحرب او التي ترمز للقتال واستبدلت بنصوص خالية الى حد ما من العنف وتقترب من الدعوة الى السلام والتآخي بين اطياف الشعب العراقي ومكوناته . وهناك نصوص تعرف بحقوق الأنسان او الطفل .. الا انه يبقى ذلك الجهل بعالم الطفولة واضحا في المناهج التربوية . وقد رصدنا عدد لايستهان من النصوص العنيفة او المحرضة على العنف او الساخرة من الشخصيات المصابة بعوق جسدي .

ونجد غيابا واضحا للبطولة الأنثوية في النصوص الأدبية الشعرية والنثرية في كتب القراءة وتهميش دور المراة الأجتماعي ومنحها ادورا ضعيفة او نمطية او تقليدية كدور ربة البيت والمعلمة والممرضة والخياطة .. ولم نجد امرأة عالمة او طبيبة .

اما عن مسؤولية نظام المؤسسة التعلمية التي صارت مصدرا يكاد يكون اساسيا في تضمين وعرض وانتقاء أدبيات الأطفال في مناهجها دون التقيد الحقيقي بمعايير أدب الأطفال ودون ان تفعل اشتراطاتهالفنية ولآ تدعمها بسبب التقيد باساليب التعليم التي تتطلب التلقين والتكرار مما يساعد بذرة الخضوع ان تتبرعم في دواخلهم حالما يباشرون الحياة بوجوهها الكثيرة ويصبح النقد والتحليل نوع من التمرد لا يتناسب في اعتقادهم ومسألة كسب القوت**.**

وللاسف لم نجد تجاوبا من المؤسسات الثقافية او التعليمية او من قبل المؤسسة الأجتماعية الأسرة او المؤسسات الدينية التي صارت بالاونة الأخيرة تستقبل الأطفال بحجة توعيتهم وفي الحقيقة العمل على تكريس نوع من الخطاب الديني على عقولهم الغضة . اذ لم نجد تجاوبا في النظرة الأجتماعية للانثى وصورتها في المناهج التعليمية والمجتمع .

وهناك بعض الدراسات التي تناولت صورة الانثى في ادب الاطفال في العراق او في ادب الاطفال العربي امثال الدراسة التي صدرت عن دار ثقافة الاطفال للباحثة شذى حسين (كتب القراءة في المرحلة الابتدائية) فضلاً عن دراسة للباحثة زهره ابراهيم (الموروث الشعبي الحكائي في قصص الاطفال). والتي تناولت جانباً من صورة المرأة في الموروث الشعبي .

وظهر ان مؤلفي الكتب انتقوا نصوصاً متنوعه بهدف (اتقان التلاميذ المبتدئين المهارات الاساسية اللازمة للقراءة والكتابة وتثبيتها في اذهانهم)([[1]](#footnote-2))، وقد وضعوا في اعتباراتهم مهارتي (الاستماع والتحدث) و لم يأت في مقدمة الكتاب على اهمية الصور والرسوم وتأثيرها على المتلقي في حين انها شكلت نسبة لا بأس بها من مساحة صفحات الكتاب وهي عنصر جذب للقارئ الصغير من خلال المتابعة والمباحثة ووجدت ان النصوص التي تتحدث عن الاولاد تتفوق على النصوص التي خصصت للبنات وهناك موضوعات عامة موجهة لكلا الجنسين ولكن اغلب الصور التي ترافق النص يمثلها الاولاد.

وفي دراسة بعنوان : ( دور الأنثى الأجتماعي في منظور المؤسسة التعليمية )[[2]](#footnote-3) توصلنا إلى مجموعة من النتائج والقضايا العلمية التي تتعلق بدور الأنثى في كتب القراءة للمرحلة الأبتدائية التي تعكس بنية المجتمع العراقي في منظور المؤسسة التعليمية .

فمن خلال دراستنا وتحليلنا للنصوص الأدبية في كتاب القراءة كانت ادوارا تقليدية نمطية (طالبة- معلمة- ربة بيت). ولم يستحدث للأنثى ادوار مبتكرة أو متطورة أوعملية في واقع المجتمع مثل دور طبيبة- عالمة- او تعمل على الحاسوب أو الاحصاء أو مهندسة .

أن دور الانثى يتناقص كلما تقدمت المرحلة العمرية المتوجة اليها في كتب القراءة فمثلاً عدد ادوار الانثى في المرحلة الثانية (7) والمرحلة الثالثة (8) والرابعة (5) والخامسة (5) والسادسة (2). وذلك لا يتناسب مع التوجه الثقافي الجديد في التركيز على دور الانثى في المجتمع وتحسين صورتها لدى المجتمع الذكوري وإخراجه من التعصب والنظر اليها باحترام وتقييم وتقدير إلى دورها في المجتمع. وهذا ان نريد ترسيخه في ذهن وعقلية الاطفال من مرحلة البناء الفكري الاهم والاساس ؛ وهي مرحلة الطفولة .

أن العملية التربوية هي بالأساس ذات طابع تربوي وتعليمي في العراق ونعتمد بالدرجة الاولى على ما تقدمة المؤسسات التربوية فذلك يعني ان هذه المؤسسة قد احتلت التراتبية الأولى في ادبيات الطفل .

وبما ان العراق بعد عام 2003 اصبح يعيش نظاماً تربوياً جديداً فيتوجب عليه ان يكون بعيداً عن كل التأثيرات التي تشوه تنشئة الطفل العراقي ، وتوفير كافة الامكانيات للنهوض بحقوق الافراد ومن ضمنهم الاطفال البنات بشكل خاص في التعليم والثقافة لإبراز دورهن منذ الطفولة كون البنت تتخذ مكانتها في المجتمع وتمارس حقها كفرد فعال وناشط منذ الصغر ولعل احد اسباب ومعوقات مساهمة المرأة في المجتمع ترجع إلى العادات والتقاليد والانظمة التربوية التي ولدت نظرة متدنية للمرأة فضلاً إلى التعليم الذي رسخ جزء من هذه المفاهيم لدى الصغار اولاداً وبناتاً ما يعطي نظرة مستقبلية للمرأة.

وهذه النظرة قد تكررت في كتاب قراءة الصف الثالث والذي تم فيه اختيار مجموعة من الشخصيات اغلب نصوصه التراثية والتاريخية من العنصر الذكوري (رجالاً واولاداً) على الرغم من عمومية طروحاتها مثل (الرفق بالحيوان) و (سلامة العيون) و (الخبز) و(افتح ياسمسم).

أن اهمال صورة المرأة في النصوص يولد فكرة أن المرأة عاجزة وليس لها ادوار في التاريخ او في حضارات الشعوب وهناك نصوص شارك فيها كلا الجنسين (الأولاد والبنات). وهي تنقل صورة الحضارة المستقبلية لمجتمع يبني بجهود جميع افراده ذكورا واناثا والمشاركة والتعاون في اداء النشاطات المختلفة واضحا كما في (العودة إلى المدرسة) و(الاسرة والاقارب) و(نصنع لعباً) و(حقوق الاطفال) و(القرية) في قراءة الصف الثاني و(مكتبة المدرسة) و(العاب مسلية) و(سفره مدرسية) .

اما في نصوص القراءة للصف الرابع فقد جاء في مقدمة الكتاب (ان العاملين في الميدان التربوي يسعون إلى تطوير المناهج استجابة لمتطلبات المراحل الجديدة في سبيل خلق جيل قادر على النهوض ويحتفظ بمثل وقيم اسمى )([[3]](#footnote-4)) . وعند متابعة نصوص الكتابة وجد بأن البنت لم تؤخذ بعين الاعتبار كونها تصف الجيل .

وذلك يولد نطباعاً واضحاً لدى الطفل في مرحلة نموه الفكري والعقلي بأن الانثى ليس لها دور متميز وان دورها في الغالب يكون مقتصرا على مهن او وصف بعينه سواء كونها طالبة أو معلمة أو ربة بيت وهذا لا يجوز في مرحلة التعبير والبناء النفسي والعقلي للطفل.

ومن خلال اطلاعنا على النصوص الشعرية التي ينظمها شاعرات في نصوص المنهج المدرسي استرعى انتباهنا ملاحظة عدم وجود اي نص لشاعرة أو أدبية عراقية وعربية في جميع كتب القراءة ولجميع المراحل .

رغم أن التاريخ والعصر الحديث يشهد بوجود شاعرات وكاتبات متميزات كتبن للكبار وللأطفال يمكن أن يختار من نتاجهن ما يلائم الاطفال ادبا وفكرا لكي يتسنى للطفل ان يتعرف على نتاج الشاعرات والادبيات العراقيات والعربيات.

# المتغيرات الفنية :

ان ثقافتنا في العراق لم تنتج ادبا يعتد به .. ليس لفقر في الأرث الثقافي والمصادر الضرورية ولا لعجز في المخيلة ولا لقصور في اللغة ولالغياب بالوعي بأهمية الأبتكار وأهمية الخلق الفني وأنما لأسباب اخرى قد يكون اهمها اطلاقا ضعف التواصل بين الأجيال وهشاشة العلاقة بين الكبار والصغار والجهل الكبير بعالم الطفولة على خلفية مجتمع ابوي صارم يريد ان يلقن يقينه الخاص للطفل وهو يقين ثبوتي ، ويريد ان يفرض تصوارته على الأطفال من دون كبير احترام لأستعداداتهم الخاصة واراداتهم وملكاتهم الأبداعية لكونه ببساطة يريد ان ينسخ صورة من ذاته ابدية ويقدمها للعالم .

الا أن الكتابة للأطفال اخذت تتحلل من بعض المحاذير والمخاوف التي كان يرصدها قلم الفاحص الفني . وأن دخول العراق في شبكة العولمة والتكنولوجيا التي حرم منها لسنين طويلة وانفتاحه على العالم بعد ان توفرت فرص السفر لديه .مما جعله يتطلع على التجارب العالمية في الكتابة للأطفال من خلال المؤتمرات وورش العمل التي تقيمها دول العالم في مجال ادب وثقافة الطفل .

وللأسف لم نجد تجربة فريدة من نوعها في الكتابة للأطفال تحققت فيها الشروط العالمية في فنية الكتابة كالجذب والتشويق والخيال الأبتكاري مضافا الى التعلم .

اذ لم نكتشف تجربة عربية للكتابة للأطفال مثل تجربة ( هاري بوتر ) للكاتبة الأنكليزية ( جي . كي . رولنغ ) ؛ التي تحكي حكاية الصبي [الساحر](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%AD%D8%B1) [هاري بوتر](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%A7%D8%B1%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D8%AA%D8%B1_(%D8%B4%D8%AE%D8%B5%D9%8A%D8%A9))، منذ اكتشافه لحقيقة كونه ساحراً، وحتى بلوغه سن السابعة عشرة، فتكتشف ماضيه، وعلاقاته السحرية، وسعيه للقضاء على سيد الظلام [لورد فولدمورت](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D8%B1%D8%AF_%D9%81%D9%88%D9%84%D8%AF%D9%85%D9%88%D8%B1%D8%AA).

اذ حققت سلسلة هاري بوتر نجاحاً هائلاً منذ صدور الجزء الأول منها [هاري بوتر وحجر الفلاسفة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%A7%D8%B1%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D8%AA%D8%B1_%D9%88%D8%AD%D8%AC%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%81%D8%A9) في [1998](http://ar.wikipedia.org/wiki/1998)، وتُرجمت إلى معظم لغات العالم الحية ومنها [العربية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9). بيع من الكتاب السادس [هاري بوتر والأمير الهجين](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%A7%D8%B1%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D8%AA%D8%B1_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D9%8A%D9%86) عشرة ملايين نسخة عشية صدوره، واعتبر أكثر الكتب مبيعاً في التاريخ، حتى صدور الكتاب السابع والنهائي من السلسلة [هاري بوتر ومقدسات الموت](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%A7%D8%B1%D9%8A_%D8%A8%D9%88%D8%AA%D8%B1_%D9%88%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%AA) الذي بيع منه ثمانية ملايين نسخة في [الولايات المتحدة الأمريكية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9) وحدها عشية صدوره في [21 يوليو](http://ar.wikipedia.org/wiki/21_%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%88) [2007](http://ar.wikipedia.org/wiki/2007).

وايضا لم نتحقق تجربة في فنتازيا الخيال كتجربة (الس في بلاد العجائب ) وهي من اروع مايمكن وماتزال حية حتى يومنا هذا رغم مرور قرنين ونصف تقريبا على تأليفها . وكتبها الكاتب وعالم الرياضيات الإنجليزي [لويس كارول](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D9%8A%D8%B3_%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%88%D9%84) في 1865 وهذا الاسم هو الاسم غير الأصلي لكاتب هذه الرواية إذ كان لايريد بأحد ان يعرف أن معلم الرياضيات والمتدين يكتب روايات للأطفال فكتبها تحت هذا الاسم بينما ان اسمه الأصلي الذي لم يندثر بمرور الزمن هو تشارلز دودجسون .

ولايسعنا ذكر الكثير من المؤلفا ت العالمية مقارنة وتذكيرا ولكن مما يؤلم ان كتابنا لم يفيدو كثيرا من موضوعات التراث العربي الأسلامي وهو من الغنى الى حد الذي استوحى الغرب موضوعات التراث العربية ونقلها الى مكتباته العالمية لاسيما المكتبة الأنكليزية حيث ان بعضا من قصص الف ليلة وليلة بات جزءا من ثقافة الناشئين الناطقين بالأنكليزية .

ومما يؤثر فينا ان المتتبعين لأدب وثقافة الطفل ونقد نصوصه وتحليلها من الأدباء والنقاد يعدون من القلائل فنحن نعاني من غياب كبير في مجال نقد نصوص وادبيات الأطفال بل مازلنا بحاجة الى ايجاد منهج علمي لنقد ودراسة ادب الأطفال ، ليس في العراق فحسب بل ؛ في اقطار الوطن العربي كافة .

# المتغيرات الفكرية :

يتأثر ادب الأطفال مثل غيره من الآداب بالمتغيرات الفكرية التي تطرأ على البلاد في حال حصول تطورات على المستوى الفكري في البلد كنتيجة حتمية لتبدل حاصل في النظم الحاكمة وفي تطبيقاتها .

ولاننسى كيف ان النظام السابق عسكر ادب الطفل وثقافتة وخطابه ولغته واساليب تطبيقه وامتد ذلك الى جميع الفنون التي تتصل بالطفل .. كالرسم واللعب وحتى الأزياء وظهر لدينا في الثمانينيات ادب الحرب تمثل في قصص وقصائد تثير الحماسة وتلهب روح المشاركة في الحرب حتى لو كانت تعبيرا قتاليا من خلال اللعب .

وكانت خير ممثل عن ذلك السلسلة القصصية المسماة ب ( سلسلة قادسية صدام ) التي استغلت الطفل وعرضت له مفاهيم القتال والأنتصار وحماية الوطن من وجهة نظر السياسة الحاكمة .

وظهرت على الساحة العديد من التغييرات الفكرية بعد حرب 2003 .. وحصل معها تذبذب واضح في مفهوم الوطن والوطنية والمواطنة . بسبب التهجير القسري والحرب الطائفية والنزوح الداخلي .. الذي اثر على مستقبل الكثير من الأطفال وطموحاتهم بل حرف مسار تاريخهم نحو هاوية المستقبل المجهول او بتعبير ادق اللامستقبل .

الا ان ذلك كله لم ينعكس كثيرا في موضوعات الكتابة للأطفال بشكل واضح وملموس بل أ قتصر على عدد من القصص والقصائد نشرها كتابنا مجلات الاطفال

ولااعتقد انها تشكل ظاهرة يمكن ان تعالج القلق والخوف والأرتباك الواضح الذي ولدته الحرب وغرست اثرة في نفوس اطفالنا .

# المتغيرات السياسية :

ظهر جليا ان المتغيرات السياسية اوجدت عدد ا من مطبوعات الأطفال متنوعة ومختلفة في طروحاتها تمثل الجهة الدينية او السياسية او الفكرية او الحكومية التي تصدرها . اذ لابد من الأشارة الى ظهور العديد من المؤسسات الدينية وبعض المؤسسات الحكومية التي اخذت ترعى وتصدر ادبيات للاطفال في العراق .وهي تشكل سيف ذي حدين بسبب الظروف الراهنة التي يعيشها العراق وهي ظروف حساسة للأضطراب الحاصل في بنية المجتمع العراقي من حيث انتماءاته الدينية والعرقية ومااحدثه اختراق داعش لقلب المجتمع العراقي من خلل فكري اثار وكرس النعرات الطائفية ..

اما كيف ؟

فمن يطلع على نتاج بعض المؤسسات الأدبية والثقافية يجد ان رعايتها ودعمها او تاسيسها يتم من خلال المؤسسات الدينية بالأصل وهي اما تنتمي للطائفة الشيعية او السنيةكالمطبوعات التيتصدر من الوقف الشيعي والتي توقفت بعدة فترة من صدورها سنجد المنشورات تكاد ان تكون متمثلة لهذه الطائفة او تلك وعلى وجه التحديد . هناك عدد من المطبوعات التي تصدر من العتبات الدينية المقدسة والكنائس امثال **(مجلة الحسيني الصغير )** التي تصدر من العتبة الحسينية ومجلة **( الرياحين )** التي تصدر من العتبة العباسية ومجلة ( واحة الطفولة ) ومجلة **( براعم الجوادين )** التي تصدر من العتبة الكاظمية ومجلة **( قنبر )** التي تصدر من العتبة العلوية . ومجلة **(الزنبقة الصغيرة** **)** التي تصدر من كنيسة مار يوسف في بغداد وهي مجلة فقيرة ومحدودة الطبع و تحمل تعاليم دينية باسلوب ادبي وقصصي يعبر عن القيم الأخلاقية ..

وقد اخذت بعض منظمات المجتمع المدني باصدار مطبوعات للأطفال واحيانا بعض القصائد الشعرية المغناة والمسجلة على اقراص سيدي .مثل منظمة (لنا ). فضلا عن بعض الوزارات او الهيآت كالمطبوع الصادر من وزارة الداخلية بعنوان (الصقور ) وايضا او من هيأة النزاهة بعنوان (الجيل الآن ) ومطبوع (انا نزيه ) لمرحلة الطفولة المبكرة او هيأة الأوقاف كالمطبوع الصادر من الوقف الشيعي ويبدو انها توقفت الآن .. فضلا عن المطبوعات التي تصدر من المؤسسات والتيارات الدينية كمؤسسة شهيد المحراب التي اصدرت مجلة (مرتضى) ومجلة (مجتبى ) والتيار الصدري التي اصدرت مجلة (صديقي ) .

# ونحن نتساءل هل يشكل ذلك تنوعا صحيا وعافية في ثقافة وادب الأطفال في العراق ام العكس ؟ وهل ان التنوع الفكري يسبب خلطا فكريا وتباينا في الطرح الأدبي لأفكار النصوص الأدبية ؟ ام لا هذا ولا ذاك اذ لااثر يذكر لتلك الأدبيات في ثقافة الطفل ؟

والجواب يحتاج الى دراسة موضوعية وتحليلية لمضامين النصوص الأدبية في تلك المجلات ويشملها ايضا دراسة للرسوم والأخراج الفني لتلك المجلات حتى نتوصل الى نتائج حقيقية في وصف المطبوعات وتاثيرها الفكري في تنشئة الطفل في العراق .

# الخطوط الحمراء في ادب وثقافة الطفل ؟

( الطيور التي تولد في القفص .. تعتقد ان الطيران جريمة .. جودوروسكي ) (( مخرج سينمائي من تشيلي ))

على الرغم من ايماني بحرية الكاتب وبانسجام خياراته الفنية مع لحظته الجمالية الخاصة وهو مالايجب ان ننكره على كاتب ؛ الا ان ثقافة عربية للأطفال لازالت تفتقر الى الأولويات يجدر بمبدعيها ان يلتزموا بوضع الأسس قبل التفكير في كسر القواعد ..

ونتساءل هل يكون للكاتب الحرية في الكتابة في العديد من الموضوعات كالحب والجنس والموت والسياسة والحرب وكلها مادة للحياة ؛ وهل ينجح في ان يستخدم مستويات اللغة جميعها .ونتساءل بأي لغة نخاطب الطفل وممايزيد في الصعوبة اننا لاندري بالفعل الحصيلة اللغوية عند كل طفل في كل مرحلة عمرية ونحن بحاجة ملحة في دراسة هذه المنطقة الغامضة بطريقة وافية .

ماذا عن عشرات الأشياء المحرمة عند التوجه للكتابة اليه ؟؟

فالدين والسياسة والجنس بعض من المحرمات التي يجب الأبتعاد عنها عند الكتابة للأطفال .

ولكن ماذا نفعل والكتابة في جانب منها رؤية للعالم الذي نعيش فيه وشهادة عليه . والكاتب يجد من واجبه ان يقدم رؤية يفضح فيها كل الذين يحاولون خداعهم باسم الدين ويقومون بقمعهم بواسطة السياسة ويستغلون توقهم وعواطفهم المكبوته بواسطة الجنس ؟

كيف يمكن ان يقوم بهذه المهمة الصعبة دون ان يربك ذهن قارئه الصغير ، كيف يمكن ان يتعلم الطقوس الأولى للعبادات ..وكيف يدخل وسط العالم المرئي للسياسة رغم انها تشكل عالمنا المعاصر وكيف نشرح له ماهو خفي خلف كل خبر يستمع اليه في اجهزة الأعلام دون ان يجعله يفقد الثقة بعالم الكبار وكيف نشرح له بعضا من دوافع سلوك البشر دون ان نصيبه بالغثيان ، ان التقاليد العربية ترفض ان تتحدث حتى عن العلاقات الرومانسية البسيطة التي تحفل بها كتب الأطفال في الغرب .

يحدثنا المفكر البحريني د.جابر الأنصاري في كتابه (( العرب والسياسة .. اين الخلل ؟ ))عن افتقاد المجتمع العربي لقيمة التسامح بين افراده ،فرغم ان الدين الأسلامي هو بالأساس دين التسامح والموعظة الحسنة الا ان الملاحظ أن البيئة العربية الأسلامية تشهد حالة من التعصب واللاتسامح وصل الى حالة مؤلمة من الحروب العربية \_العربية بين الأقطار المختلفة او بين ابناء القطر الواحد ؛ وحتى داخل القبيلة الواحدة والحزب الواحدة والجماعة الواحدة ؛ اي ان هناك فجوة بين المثال الذي يقدمه الدين الأسلامي وماتقوم به الجماعة العربية والأسلامية كل يوم .

اذن كيف نتحدث عن التسامح دون ان نتحدث عن السياسة وهي الصورة الحقيقية للسياسة .

اننا نعيش في ظل حضارة كونية وسوف تقوم ثورة المعلومات بصهر كل الثقافات المحلية حتى تدعم هذه الثقافة الكونية وعلينا ان نكون منه والا اصبحنا خارجها .

لذا علينا نكون ضد القمع ومع الديمقراطية .. ولكن كيف ان نوطد امكاناتنا تلك لثقافة وخطاب جديد للطفل هذا ماسنفكر فيه مليا في الخطوات القادمة للكتابة للطفل .

وكيف لهذه الخطوط الحمراء تقلب السحر على الساحر اي بدلا من تجريم بعض المفاهيم نتحدث عن تحديات اللغة للنص العنيف ونجعل العنف واحدا من الخطوط الحمراء في ادب الأطفال ويدخل بضمنه تهميش دور الأنثى في المجتمع والقمع الديني الذي يتحول الى قمع فكري في بعض طروحاته في ادبيات الأطفال .فضلا عن تجنب الخوض في موضوعات الفنون الجميلة كالموسيقى والرقص والغناء والنحت والرسم وكل ما هو من شانه ينمي ويجسد القيم الجمالية والأنسانية في تنشئة الطفل .

اعتمدت هذة المقالة على عدد من الدراسات اهمها :

مشكلات الكتابة للطفل العربي / د. محمد المنسي قنديل / روائي مصري وكاتب للأطفال .

ماذا نعرف عن الأطفال .. ماذا نكتب لهم ؟ / د. نوري الجراح / شاعر وباحث سوري .

د. طاهرة داخل طاهر

1. () د. عبد كريم الوائلي، د. عبد العباس عبد جاسم، تركي عبد الغفور الراوي، كتاب القراءة للصف الرابع الابتدائي، ط3، وزارة التربية، العراق 210. [↑](#footnote-ref-2)
2. 4 ) دور الأنثى الأجتماعي في منظور المؤسسة التعليمية ، مناهج التربية والتعليم ، المرحلة الأبتدائية انموذجا / بحث مطبوع معد للنشر ، 2017 . [↑](#footnote-ref-3)
3. (د. عبد الكريم الوائلي، د. عبد العباس عبد جاسم، تركي عبد الغفور الراوي، كتاب القراءة للصف الرابع الابتدائي، ط3، وزارة التربية، العراق 210. [↑](#footnote-ref-4)